4

لا يزال حياً!: السلوك الذكي للأسواق ما وراء الرأسمالية

تخلق ما وراء الرأسمالية سلوكيات سوق ديناميكية. ولقد ضمنا في الأجزاء السابقة كيف تسمح ما وراء الرأسمالية للشركة بزيادة نفوذ رأسمالها التجاري والبشري والمالي لتعقب الأسواق الأوسع بسرعة، تحسن المنتجات والخدمات، وتعزز أداء سلاسل العرض. وتخلق هذه الآلية فرصاً هائلة لابتكار القيمة والثروة. وعلى أي حال، فهناك طبيعة عضوية ظاهرية وراء تلك الآلية للأسواق ما وراء الرأسمالية تجعلها أكثر متعة وتشويقاً: «فهي لا تزال حية!».

ونظراً لأن جميع الأسواق هي عضوية. فعندما تكون مصممة بشكل جيد، عادلة، ومنفتحة نسبياً على الأقل، فإنها تستجيب لحوافز متنوعة وتخلق القيمة. كما تسعى الأسواق لفهم أولويات وطلبات الزبائن وتبذل كل جهدها لتلبية هذه المتطلبات. وهكذا يستجيب المشاركون في السوق للمنافسة

الملاحظة من أجل الزبائن، الخدمات والمنتجات الرئيسية، وكذلك لرأس المال باستراتيجيات من شأنها تلبية متطلبات الزبون وإحباط المنافسة. وبمرور الوقت، تحسن الأسواق بشكل عام سرعة استجابتها وفق هذه الاعتبارات، بينما يميل المشاركون الذين لا يتطورون بسرعة كافية للتوقف ويتم استبدالهم بلاعبين أفضل.

وفي الوقت الذي يتطور فيه جميع اللاعبون في السوق، تستمر القواعد والأسس بالتطور في السوق. وربما تطهير مجموعة جديدة كلياً من مبادئ المنافسة، محدثة مستويات أعظم من الثروة والنمو الاقتصادية. ويعد هذا نموذجاً تطورياً عضوياً: إذ تتقلب السوق مع الوقت وتولد كيانات جديدة استجابة لبيئتها ومسائل البقاء الضمنية في هذه البيئة.

وهكذا يمكن أن ينظر السوق على أنها أنظمة مركبة مكيفة. وتثبت التغييرات الهامة التالية في بنية السوق عبر السنوات العشرين الماضية تلك النظرة:

- لقد أحدثت إعادة هندسة العملية التجارية وإدارة سلسلة العرض المطورة تغيراً هائلاً في الأسواق. فقبل تلك الجهود، كانت الأهداف الموضوعية الرئيسية للأسواق تتمحور حول الأنظمة الاقتصادية القياسية والدفع القوي الذي دعم صنع المنتجات وبيعها لعدد كبير من الزبائن. بينما أصبحت تلك الأهداف بعض تلك الجهود تتمحور

حول زمن الدورة الأقصر، ديناميكية السحب، وسرعة الاستجابة لمتطلبات الزبون الشخصية. وأكدت العمليات الجديدة كون علم الاقتصاد أعلى من الأنظمة الاقتصادية القياسية التقليدية. كما كانت الشركات حينئذ قادرة على إنتاج منتجات وخدمات أكثر إغراء، أسعار مغرية جداً، وكذلك كانت قادرة على النمو دون زيادات مثيرة في الطاقة والاستثمار وفي التعابير التطورية، سمح التحسين المثير في التنسيق العضوي للبنية التحتية الصناعية التقليدية لها بتشكيل مهام بمهارة لم يسبق لها مثيل بوساطة نماذج اقتصادية أولية. كما بدأت الأسواق باكتساب مبادئ إدراك النموذج، من خلال التسويق المرتكز على البيانات، والمطلوب للانتقال لمستوى أعلى من التفوق والذكاء.

- أدى تكامل أسواق رأس المال العالمية إلى تدفق المنتجات والموارد المالية بشكل فعال على أساس عالمي، مبتكرة مستويات أعلى من فعالية السوق العالمية عن طريق إحداث فرص أعظم والسماح لرأس المال بإيجاد العائدات المتوفرة الأكبر. ومن منظور تطوري، فقد خلقت هذه التغييرات نظاماً دورياً أكثر فعالية. وأصبح تنظيم السوق الكلي أسرع في استجابته، حيث تطورت الأنظمة وقوي نفوذها بسرعة أكبر.

- أخيراً، فقد سمح التطبيق الكلي للتكنولوجيا ـ وبشكل خاص تكنولوجيا الشبكة والانترنت ـ للأنشطة الاجرائية والاتصالات الأكثر فعالية بالعبور وابتكار مجتمعات هائلة. كما كان للحجم الأعظم من المعلومات والسرعة الأكبر في وسائل الاتصال والتعاملات الناتجة نتائج إيجابية كبيرة: إذ تتخذ القرارات بسرعة أكبر، ويشترك المزيد من الناس في الأسواق الفعالة بشكل متزايد، ويزداد نفوذ رأس المال البشري والمالي بشكل أكثر فعالية. وكل ذلك يقترح بأن الأسواق الجديدة كانت قد اكتسبت جهازاً عصبياً مركزياً أكثر فعالية. فقد أصبحت الأسواق خلال أنظمة مكيفة سريعة الاستجابة وفعالة أكثر بشكل مثير.

يقدم الشكل 4 ـ 1 صورة خيالية عن عملية التطور هذه. فلقد طورت التغييرات التنظيمية في الأسواق في السنوات العشرين الماضية التنسيق العضلي، الدوران، ونظاماً عصبياً مركزياً ينشط البنية الأساسية ـ هيكلاً عظمياً، إذا أردت ـ تطور في السنوات العشرين الماضية من التطور الصناعي. وهكذا يخلق العمل الالكتروني B2B وظهور الميتاماركت تغيراً في ذكاء الأسواق. وتستطيع الأسواق أن تحقق درجة أعلى من التعلم، الاستيعاب، والتكيف. كما وصف نموذج التطور في الطبيعة كفترات طويلة من الاستقرار تبعتها فترات من التكيف وعدم

الشكل 4-1 تطور ذكاء السوق

obeikandl.com

الاستقرار. والشيء نفسه يحدث اليوم. إذ يعد الابتكار المضطرب والهائل للعمل الالكتروني B2B الجديد فترة من عدم الاستقرار سيظهر منها الرابحين الجدد.

الذكاء؟ تبدو الميتاماركت وكأنها تتحول من مستوى الأنظمة المكيفة المركب إلى شيء ما أفضل وصف بالذكاء. إذ يمنح العمل الشبكي السريع والمكثف للميتاماركت العالمية، وقدرتها على تأدية الوظائف ذات المستوى الأعلى مثل تقدير النموذج، التنظيم الذاتي، والتغيير المتكيف المتواصل، ما وراء الرأسمالية صفات مميزة توسع الخيال. إذ تقترح بعض مزايا التكنولوجيا والعمل للميتاماركت مزايا «أداة الشبكة» لرواية عالم الكمبيوتر (الانترنت) لويليام غبسون أو «الدماغ البوزيتروني» (والبوزيترون هو جسم مركب كتلته تعادل كتلة الالكتروني) والمعروف بالنسبة لمعجبي ستار تريك. حيث يوضح أسلوب البناء التقني للميتاماركت سبب ذلك. ويمثل الشكل 4 ـ 2 رسماً تخطيطياً بمستوى عالي لأسلوب بناء الأنظمة والتطبيقات التي تعمل لدمج الميتاماركت.

وكما يبين الشكل، فإن لدى الميتاماركت سلسلة من تطبيقات أو وظائف برامج العقل الالكتروني تزيد من مقدراتها واحتمال ابتكار الثروة والقيمة. كما يوجز الشكل أربعة أنماط مختلفة لقدرات ووظائف العمل الشبكي، مع مستوى متزايد من القيمة بينها. وبينما يضيف العمل الشبكي هذه المستويات من

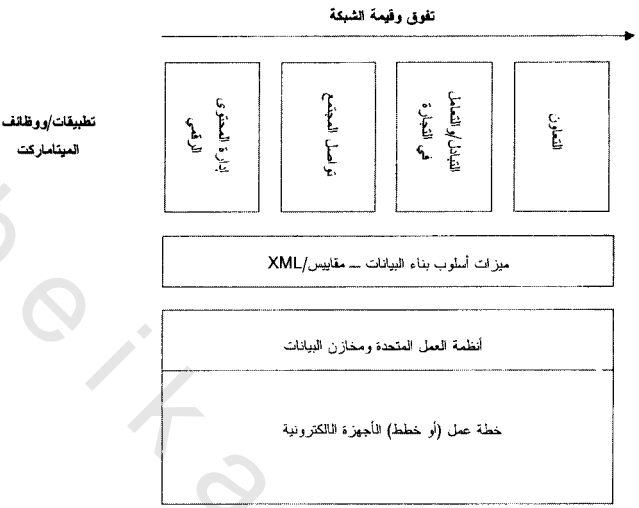

الشكل 4-2 الميتاماركت المتكاملة

القدرة، فإنها تميل لتحسين السلوك والذكاء المكيف للعمل الشبكي ككل. ونلخص هذه المقدرات المرتكزة على برامج العقل الالكتروني من الأدنى للأعلى كالتالي:

- **المحتوى الرقمي**: يمكن تحديد مقدرات المحتوى بأنها البيانات الضمنية وقواعد البيانات للمعلومات والدعم التي يستخدمها المشتركين في شبكة العمل لخلق التعاملات أو تبادل المعلومات. وربما يتضمن ذلك القوائم (أرقام الأجزاء، المعلومات حول المواصفات، مواصفات وقوائم SKU، والخ....)، ومعلومات المحاسبة المالية، معلومات حول أداء سلسلة العرض، معلومات

obeikandl.com

المساعدة والدعم، ومعلومات في قوائم أخرى عديدة. فعلى سبيل المثال، ربما تتضمن القواعد البيانية للقياس، معلومات حول السوق، ومعلومات موزعة من قبل أطراف ثالثة موثوقة، محللي، وخدمات تصنيف. ويمثل تنظيم هذه المعلومات، البحث عنها، استخلاصها، ونشرها الأعمال داخل شبكة العمل. ويعتقد غالباً أن بعض المحتوى هو كبيئة عمل ـ دراسات إحصائية ونماذج بيانات، اتجاهات الشراء، واقتصادية تقدم لوناً ومنظوراً لبيانات العمل.

- **تواصل المجتمع**: تسمح برامج التواصل الالكترونية للمشتركين في كل مكان في المجتمع (مجتمع القيمة المضافة أو الميتاماركت) بالتواصل، تبادل البيانات، وتنظيم التعاملات. كما يسمح التواصل، والذي يعتقد غالباً بأنه كتطبيقات دمج المشروع (EIT) أو البرامج الوسيطة للمشاريع على اختلاف خطط عمل البرامج الالكترونية بالتواصل مع بعضها البعض. كما يستخرج التواصل معلومات وبيانات ذات صلة وثيقة مع اللاعبين المتعددين في شبكة العمل وتسمح باستخدام تلك المعلومات من قبل لاعبين آخرين في شبكة العمل. وكذلك يخوّل الشبكة بإضافة أعضاء وتحقيق التكامل لذاتها، وبهذا تبتكر القوة الكلية لشبكة العمل وقابليتها للصعود.

- **تعاملات التجارة**: تميل تطبيقات التجارة لقيادة التعاملات التي تحدث في كل مكان من شبكة العمل. وقد ترتكز على المفاهيم الأساسية للبيع بالمزاد في شبكة العمل أو قد ترتبط بنشاطات سلسلة القيمة مثل وضع الطلبيات، إصدار الفواتير، وعناصر إجرائية رئيسية أخرى. وهكذا تبنى المزايا ومقدرات التبادل لشبكة العمل بشكل عمل على أساس التطبيقات التجارية. وكذلك الأمر بالنسبة لخدمات وسيط الخدمة.

- **التعاون**: تسمح البرامج الالكترونية المتعاونة للمشاركين في شبكة العمل بالتفكير والعمل معاً عن قرب في الوقت الفعلي. كما يمكن أن تستخدم من أجل البحث والتطوير الالكتروني، تطوير المنتج الالكتروني، وأنشطة أخرى لتطوير العمل، بالإضافة إلى تطوير الاتحاد المرتكز على الشبكة، تخطيط الطاقة والعمل، وعمليات أخرى حيث يحسن التعاون عبر مجتمع المصلحة تطوير شبكة العمل، وأدائها، أو تطوير عملياتها. وباستناده إلى نطاق المزايا والتطبيقات الأخرى، يسمح التعاون سلوك الشبكة بأسلوب عضوي ـ يسمح لها بأن تكون سريعة جداً بتقدير النماذج (قادة السوق وقوى أخرى)، مراجعتها واعتمادها، تطوير الاستراتيجيات، وتنفيذها. كما ترى البرامج الالكترونية المتعاونة تشكيل الشبكات

العالمية. وهي تمنح مثل هذه الشبكات طاقة لم يسبق لها مثيل لتقوية نفوذ الرأسمال المالي والبشري، وتخلق إمكانية وجود فعاليات جديدة واسعة، وعلى الأكثر تسمح للشبكات بالاستجابة لقوى السوق بتوازن وسرعة لم تكن ممكنة من قبل .

حالما تقوم شبكة العمل بتأدية وظيفتها بشكل تام، يستطيع لاعب صغير نسبياً بقاعدة رأسمالية صغيرة نسبياً ولكنه رأسمال ذكي مدهش تقوية نفوذ الشبكة الكلية، بأسلوب «الكتروني حيوي» ـ لاستيعاب الأسواق، ابتكار المنتجات، وإيصالها للسوق بمستويات قياسية وفعالية لم تكن ممكنة في السابق حتى بالنسبة للمشاريع التقليدية الأكبر. بالإضافة إلى ذلك، يخلق التفكير المطبق لمجموعة هائلة من اللاعبين في الشبكة الذين يعاينون فرص السوق، يتعاونون على المنتجات والخدمات، يتفهمون المزايا أو النواقص في المنتج، العملية، وحلول النظام، يعدلون ويغيرون استجابات شبكة العمل، ذكاءً تعاونياً، سرعة في رد الفعل، وسرعة استجابة للزبائن تتجاوز المستويات السابقة بكثير.

والممتع في هذا التحول للعمل والنماذج الصناعية هو أن شبكات عمل B2B ستسمح بحدوث التحول بسرعة ـ خلال السنوات القليلة القادمة. وسوف يحافظ الميل العضوي لشبكات العمل المتطور على استمرارها في التطور. وكذلك سيتم إضافة

تطبيقات أخرى، وستؤدي مفاهيم وطرق جديدة إلى إمكانية وجود سرعة وذكاء أكبر. وسيخلق هذا بالتالي مستويات أعلى من نفوذ رأس المال التجاري، البشري، والمالي. وكذلك يشغل الدخول في ما وراء الرأسمالية القوى المحركة للسوق والتي تجعل النمو الاقتصادي وابتكار الثروة قدر الإمكان ضمن الأسوار المصانة للشركات التقليدية.

obeikandl.com